بسم الله الرحمن الرحيم (مغازلة الابتداع في بلاد مهبط الوحي ومحاربته)

أطلعني الله بقراءة مقال صحفي لها هل بشرع الله في جريدة المدينة في ١٤٢٩/٦/١٥ بعنوان: (زاوية تأنيب الحرم) منسوبة للأستاذ محمد عبده يماني، وقبله بنحو أسبوعين بقراءة مقال مماثل منسوب للصحفي نفسه كأنما يغازل فيهما التصوف المبتدع جحود أنعم الله علينا بالمقام في أرض التوحيد والسنة وإحياء للموروث الأجنبي عنه أبواب ومسالك الشيطان التي أُغويت في بلاد المسلمين منذ عهد الفاطمية والعثمانية وما بينهما حتى مَنَّ الله لهذه الأرض المباركة بتجديد الدين والدعوة إليه بالعودة بها إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، وهدم مظاهر الوثنية (بتقديس المقامات والمزارات والمشاهد تحت مظلة حب الأنبياء والأولياء وإحياء الآثار الدينية) ومحاربة البدع عامة، ونشر علوم الشريعة والحكم بما أنزل الله (عقيدة وعبادة ومعاملة).

أ- في المقال الأول أشاد بما سمي (ركب الأغوات) وكأنه من المناسك والمشاعر المقدسة، ولم يَرِدْ في شرع الله ذكر للوكلة ولا للأغوات وإنما هي من تقرب الجهلة بما لم يشرع الله قربة لهم، بل تعوّد المبتدعة والمتصوفة والجهلة فتنة التشابه إلا ولو لهجوا الصف الأول والروضة المباركة بين البيت والمنبر ليتمكنوا من استقبال القبر (دون غيره) في الصلاة التي لا يقبل الله منذ الإسلام كان خالصاً لله تعالى دون غيره ولو ملكاً أو رسولاً أو ولياً غيرهما.

ب- وفي المقال الثاني ذكر للزاوية (وفي الزوايا خبايا الشر) بلا مناسبة إلا أنه تلويح مقنع في بطن الصحفي لا يتعمد إبداء بعضه أو كله (كعورة الجاهلية في الطواف) وما بدا منه فلا يحل لنا قبل فضحه، ولكن لا يحلل التحليل والتحريم؛ فما أظهر صحفي من عورة أو بدعة أو تقديم بالقول على شرع الله بغير علم، (ولو بدعوى المحبة أو الغلو) فرح مع مخالفة الحس) فإنما ابتلينا بقراءة مثل هذه المقالات المبتدعة ليعلم الله منا أنشاكره بإنكار المنكر أم نكفره بالسكوت على الباطل.

جـ عرفت قبل نصف قرن طالباً في مكة المباركة باسم محمد عبده يماني تميز بحرصه على تلمس يد أستاذي في مادة البلاغة محمد متولي شعراوي تجاوز الله عنه، ولم نكن في بيئتنا الفطرية نألف مظاهر خضوع المريد لشيخ الصوفي (إذ ظهر الله بيئتنا بتجديد الدين والدعوة في القرون الثلاثة الأخيرة بالمراحل الثلاث للدولة السعودية المباركة).

ولأننا لمسنا منه أستاذنا الشعراوي الميل إلى التصوف المبتدع والميل إلى الفكر والضعف في العلوم الشرعية (التوحيد والتفسير والفقه والحديث)؛ فقد حرصنا على الالتجاء وعلاقتنا به حدود (مادة البلاغ) وكان درس فرع شيقاً جذاباً تستريح فيه النفس (٤٥ دقيقة) منه جدية العلم الشرعي المبني على الوحي والفقه فيه، وفي الوقت نفسه ارتبط شخص الطالب اليماني في نفوس طلاب العلم الشرعي بالجانب الصوفي من شخص أستاذنا الشعراوي.

وإذا كان طالب الأمس هو نفسه صحفي اليوم فلا عجب أنه ذكرني مفازلة التصوف بالأمس مفازلة التصوف اليوم فبدوره رحمة من الله وهداية لا يترك المبتدع موروث بدعته لأنه يحسب أنه يحسن صنعاً بخلاف العاصي فقد يستغفر ويتوب، وقد يغفر الله له بإذن الله.

وحمدت الله على أنه عافاه التصوف المبتدع لا يملكونه اليوم للتنفيس عن مرارة عشقهم المحرم إلا ما يستره جدار الدار أو الصدر أو الألفاظ الرمزية (مثل الذكر والزاوية) أو لحسن الأدبي (منذ ولي الله دولة التوحيد والسنة تطهير الجزيرة المباركة من الابتداع في دين الله).

وكعادة أكثر الصحفيين المطالبين بملء فراغ (زواياهم) ولو بفارغ المقال، روى الكاتب قصة خيالية ظنته اخترع لتخدم غرضه الذي استأثر التعبير عنه (أو الدوران حوله) بكلمة (زاوية) وليس في منه الحقيقة (كما أعرفها) إلا أنه تقرر قبل بضعة عقود إزاحة المبنى المعروف بمقام إبراهيم عليه السلام (بمعنى موضع الحجر الذي رقى عليه إبراهيم عندما ارتفع بناء جدار الكعبة وليس بمعنى المسجد الحرام كله كما أخرج ابن أبي حاتم من رواية مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهم) لتوسعة المطاف، وادعى (هداه الله لأقرب من هذا رشداً) أنه الشعراوي لم يوافقه على نقله فأقره الملك سعود رحمه الله على ذلك.

ورواية بعيدة عن الحقيقة كما شرحت:

١) أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة المباركة رحمه الله بذلك، وما قيمة موافقة الشيخ الشعراوي أو عدم موافقته (ولم يُعرف بعلم ولا دعوة على منهج النبوة، ولم يكبه الإعلام قد نفخ في شهرته)؟

٢) ما تستند إليه رواية اليماني الخيالية عن بعض السير لا يعتمد عليه في مقابل ما صح سنده أن عمر رضي الله عنه هو الذي نقل الحجر من مكانه (في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر بل منذ عهد إبراهيم عليه السلام) أسفل جدار الكعبة حيث انتهى البناء المبارك، وبقي مكانه حفرة إلى زماننا يسميها بعض العوام (جفيرة التوبة).

وأورد ابن كثير رحمه الله في تفسيره عدة روايات مسندة تؤيد هذا، وقال عن رواية أخرى عن مجاهد بأنه الذي نقله عن مكان نبي الله صلى الله عليه وسلم: (هذا مرسل عن مجاهد وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق عن مجاهد أنه أول من أقر المقام إلى موضعه الأول عمر بن الخطاب وهذا أصح من طريق ابن مردويه)، وقال عن أثر عائشة رضي الله عنها: (أن المقام كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر رضي الله عنه ملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر ابن الخطاب رضي الله عنه) وهذا إسناد صحيح مع ما تقدم. وروى عن ابن أبي حاتم قال سفيان (يعني ابن عيينة وهو إمام المكيين في زمانه) قال: ذهب السيل بـ (الحجر) بعد تحويل عمر لمقامه فردّه إليه (إلى مكانه الذي حوّل إليه).

٢) أما الذي أنكر نقله فهو الشيخ سليمان الحمداني وهو أحد علماء وقته واشتهر رحمه الله بشدة إنكاره البدع من الشرك والتصوف والموالد وبخاصة المدائح المبتدعة (وبخاصة ميمية البوصيري لما فيها من أبيات الشرك وما دونه من الابتداع والتحريف) مثل كثير من الماضية وقليل من الباقية. وردّ العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني على الشيخ الحمداني لأنه نقل عمر الحجر من مكانه الذي كان عليه من قبل دليل شرعي على جواز نقله فنحن مأمورون باتباع سنته وسنة غيره من الخلفاء الراشدين المهديين، وهو رحمه الله من أصل يماني أيضاً (موروثة العلم والدعوة).

٤) ولكنه ولي الأمر بعد التشاور مع العلماء رأى بقاءه مكانه (ولم ألتفت ما وضع عليه الولاة السابقون من بناء قد ينخدع به بعض الوافدين فيظنونه ضريحاً مما ألفوه في بلادهم) تفادياً للخلاف عليه، كما أن ولاة الأمر (حفظهم الله قدوة صالحة ورحم أمواتهم وجزاهم عنا الإسلام والمسلمين خير الجزاء) بعد أن هدموا جميع أو ثالثة المقامات والأضرحة والمزارات أول القرن الثالث عشر ثم منتصف القرن الرابع عشر من الهجرة قرروا ترك ما بناه المبتدعة على الحجرات تفادياً للخلاف والفتنة، والتفويض عن إزالة ترك بقيته مراقبته ومصالحه بينونه للناس وجهة الحق ويدعوهم إليه ويحذرهم من الابتداع في الدين والإساءة إلى أنفسهم وإلى الدين والرسول بالتقرب إلى الله بغير شرعه.

وانتهى الصحفي إلى بيت القصيد (فيما يظهر لي من) فلوح (بتأييد العالم الإسلامي لإبقاء كل أثر وموقع على ما كان عليه) وأضاف: (وفهم ما أمر الله به عز وجل وجاء نا على لسانه وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم)؛ ولم يأمرنا الله ولا رسوله لا بالمحافظة بيت الله ومسجد نبيه من مظاهر الشرك وما دونه من البدع المنتشرة في العالم الإسلامي ويفاخر بها بعض الإعلاميين بحجة المحافظة على الآثار الدينية رد الله كيدهم في نحورهم